النسوية من الراديكالية حتى الإسلامية.. قراءة في المنطلقات الفكرية

أحمد عمرو
مدير وحدة الحركات الإسلامية بالمركز العربي للدراسات الإنسانية

ملخص الدراسة

شكلت قضية المرأة -وما زالت- وسيلة من وسائل الحرب على الإسلام، تلونت فيها تلك القضية بموجات الاستعمار التي اجتاح العالم الإسلامي والعربي، فبعد الاستقلال من نير الاحتلال الغربي العسكري وظهور الموجة الثانية من الاستعمار، وهو ما اصطلح على تسميته بالغزو الفكري أو الثقافي تعبيرًا عن تلك الحالة من التبعية الفكرية والثقافية للغرب؛ ظهرت الحركة النسوية بمفهومها التحرري من كل قيم والمفاهيم الإسلامية كأنموذج صارخ لعملية الغزو الفكري؛ حيث انصب اهتمام النسوية حول قضايا المساواة الاجتماعية والقانونية في التعليم والتوظيف وقوانين الزواج.

كان الفكر النسوي وقتها صدى لما توارثته الذاكرة الجمعية والفردية في أوروبا من أفكار سلبية عن المرأة من خلال صورتها في التراث اليهودي والمسيحي- المرأة أصل الخطيئة-، وصورة المرأة في أعمال ومواقف العديد من المفكرين والفلاسفة الغربيين تجاه المرأة من (أفلاطون) و(ديكارت) و(كانط) وغيرهم.

أعقب ذلك موجة جديدة من الحرب على الإسلام، وهي حرب تستهدف تطويع الإسلام وقيمه ومفاهيمه بحيث يتلاءم ومفاهيم وقيم الحضارة الغربية، بدأت هذه الموجة بشكل جلي بعد وقوع هجمات الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م؛ حيث أدارت النخبة السياسية ووسائل الإعلام الغربية بعدها حربًا على الإسلام انصبت على محاولة التدخل في البنى العقدية والفكرية والقيمية، من أجل تغييرها وتطويعها للمفاهيم والأهداف الغربية؛ فظهر في الغرب ما يعرف بالنسوية الإسلامية، والتي ترى أن الرسالة الروحية للإسلام قد طُعنت. فبدلاً من المساواة التي كان الدين ينادي بها، حوّل النظام الذكوري، الأبوي، هذه الرسالة إلى أداة لاضطهاد النساء. وبينما دعا الإسلام إلى تحرر النساء قامت «التقاليد الأبوية التمييزية» بمصادرته. ودعت إلى قراءة جديدة للفقه من منظور نسوي وتفسير جديد للقرآن أيضًا من وجهة نظر نسوية.

وتحاول الدراسة تسليط الضوء على الموجات المختلفة من النسوية في محاولة لتحذير المسلمين من سمومها، والتي تحاول أن تدخل على خط تغيير القيم الإسلامية حتى لو من تحت عباءة الإسلام نفسه.

ففكرة قراءة الإسلام من وجهة نظر عرقية أو إثنية أو نوعية؛ تتناقض مع نظرة الإسلام الكلية..فالرؤية الإسلامية تراعي الطبيعة التي فطر الله خلقه عليها، أيًا كان خلقه سبحانه مع اختلاف أجناسهم وعرقياتهم وألوانهم سواء كانوا رجالاً أم نساءً.

النسوية من الراديكالية حتى الإسلامية.. قراءة في المنطلقات الفكرية

أحمد عمرو

مدير وحدة الحركات الإسلامية بالمركز العربي للدراسات الإنسانية

لقد مرت معظم بلداننا الإســـلامية بفترة ليست بالقصيرة من العهود الاستعمارية الغربية، كانت لها تأثيراتها ليس على صعيد العسكري أو المادي فقط، بل تجاوزت تلك التأثيرات إلى مجالات القيم والهوية الثقافية بتفرعاتها التاريخية واللغوية، ومجالات الاقتصاد والاجتماع. ثم بعد الاستقلال من نير الاحتلال الغربي العسكري ظهرت الموجة الثانية من الاستعمار، وهو ما اصطُلح على تسميته بالغزو الفكري أو الثقافي؛ تعبيرًا عن تلك الحالة من التبعية الفكرية والثقافية للغرب، رغم التخلص الظاهر من الوجود العسكري.

أعقب ذلك موجة ثالثة من الحرب على الإســـلام، وهي حرب تســـتهدف تطويع الإســـلام وقيمه ومفاهيمه بحيث يتلاءم ومفاهيم وقيم الحضارة الغربية، بدأت هذه الموجة بشـــكل جلي بعد وقوع هجمات الحادي عشـــر من ســـبتمبر عام ٢٠٠١م؛ حيث أدارت النخبة السياسية ووسائل الإعلام الغربية بعدها حربًا متعددة المستويات والأهداف والوسائل.

وإذا كان هدف هذه الحرب المعلن هو القضاء على «الإرهاب»، إلا أنها ومن الناحية الواقعية كانت حربًا مباشرة على الإســـلام انصبت على محاولة التدخل في البنى العقدية والفكريـــة والقيمية، من أجل تغييرها وتطويعها للمفاهيم والقيم والأهداف الغربية.

الصورة تكرس الفكرة:

«أنا أصوم طبعًا، وهذا جزء من ديانتي؛ لأني أريد أن أكون محترمة». كانت هذه هي إجابة ســـؤال وُجّه لريما الفقيه، طرحه عليها الصحافي نيراج واريكو، من موقع «فري برس» الأمريكي الإخباري، عبر الهاتف.

ريمـــا فقيه، اللبنانية الأصل التي فـــازت بلقب ملكة جمال الولايات المتحدة وصف شـــقيقها «ربيع» صيامها بأنه من باب الواجب الديني، ولا يتناقض مع مشـــاركتها بالمســـابقة، «كما أن الصيام يُضفي على الإنسان جمالاً روحيًا».[1]

تلك المسابقة التي تتطلب أن تتعرى المتسابقات فيها أمام فريق التحكيم بشكل شبه كامل.

(١) خبر على العربية نت بعنوان «اللبنانية الأصل ريما فقيه: أريد أن أكون محترمة».

http://www.alarabiya.net/articles/2010/08/21/117188.html

هـذا المشـهد شـديد الرمزية؛ حيـث يجمع بين المتناقضات، يشـير بدلالة مركزة إلى نموذج المسـلم المتعايش مع الحضارة الغربية -بالمفهوم الغربي- بكل قيمها ومفاهيمها.

فعندما تقول ريما فقيه: إنها متمسكة بدينها، وتقوم بواجب الصوم الذي يزيدها بهاءً وجمالاً، فمن الواجب أن نصدقها؛ لأننا في نهاية المطاف أمام مجرد صورة. وليس مطلوبًا منا سبر أعماق تلك الصورة أو الكشف عن نواياها. وريما فقيه ليسـت بعيـدة في قناعتها عـن أفكار أمينة داوود ذات الأصول الإفريقية، والتي أصبحت الآن أمريكية، تلك السيدة التي دعت لإمامة المرأة للصلاة في المسـاجد، وأمّت فعلاً الصلاة منذ بضع سنوات في كنيسة سان جونز في واشنطن.

إذن فريما الفقيه تمثّل الطبعة الجديدة من الإسلام الذي تريده أمريكا، الإسـلام الجديد الذي تستطيع من خلاله المسلمة أن توائم في ضميرها، بين إسلامها وشبه عُرْيها أمام المصورين.

مثلهـا مثل أمينة داود والكثير من المحجبات اللاتي يتبرجن ويلبسن البنطلون الضيّق. أو محجبات أخريات يخضن معارك رجالية في العمل أو السياسة.

والقضية هنا ليست قضية انحراف سلوكي يقع فيه بعض المسـلمين، لكن القضية الأهم هو أن يُدَّعى أن هذا الانحراف السـلوكي لا يتناقض مع الإسلام، وأن بوسع المسلم أن يتماهى مع المجتمع الغربي ومفاهيمه، والتي تحترم الشـذوذ، وتقـدس العري دون أن يفقد إسلامه أو حتى يشعر بتأنيب الضمير.

وليس المسـتهدف بالإسلام الجديد عقول المسلمين العاديـين فقط، بـل أيضًا هناك محاولـة لاختراق الخطاب الدعوي الإسـلامي نفسـه، فالمتابع لواقع المواقـف والأطروحـات الغربيـة فـي تعاملها مع الإسـلاميين يستطيع أن يرصد سـعيها نحو تطوير خطاب إسـلامي يكون مطابقًا للمواصفات الغربية، بأن يؤيد الديمقراطيـة الليبراليـة بوصفها معيارًا أعلـى، ويؤيد قيم الحرية الفردية، وحقوق الإنسـان الفرد المسـتقل عـن أي مجموع أو كيـان جماعي، «فالمواصفة الأساسية المطلوبة من الخطاب الإسلامي المعتمد غربيًا، هو أن يجعل الإسلام دينًا فرديًا، ليس لـه علاقة بالمجال العام، أو النظام العام، أو الدولة أو الدستور أو القانون. وبهذا يصبح الخطاب الإسلامي الجديد قابلاً للتعايش مع الهيمنة الغربية».[1]

إذا كانـت هذه هي الوصفـة الغربية الجديدة في حربه على الإسلام، فالسـؤال الذي يطرح نفسه هو إلى أي مدى تلعب الحركة النسوية وتفريعاتها الفكرية والثقافية، دورها في تغيير القيم الإسلامية؟

وسـنحاول الإجابة عـن هذا السـؤال من خلال عرض وصفي للمنطلقات الفكرية للحركة النسـوية، من خلال موجات النسوية المختلفة، منتهين بالمحاولة الغربية بطرح ما يُعرف بنسوية منسوبة للإسلام، في محاولتهم لخلخلة القيم الإسلامية.

النسوية.. موجات وتيارات:

يعرّف بعضهم النسـوية بأنهـا «منظومة فكرية أو مسـلكية مدافعة عـن مصالح النسـاء، وداعية إلى توسـيع حقوقهن» أما معجم ويبسـتر فيعرّفها على أنها «النظرية التي تنادي بمسـاواة الجنسين سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا، وتسـعى كحركة سياسية إلى تحقيق حقوق المـرأة واهتماماتها، وإلى إزالة التمييز الجنسـي الذي تعاني منـه المرأة، وتعـرّف الكندية «لويز تزبان» النسـوية بأنها «انتـزاع وعي فردي في البداية، ومن ثَـم وعي جمعي تتبعه ثورة ضد موازين القوى الجنسية والتهميش الكامل للنساء في لحظات تاريخية معينة».[2]

(١) دكتور رفيق حبيب: الإسلام الجزئي.. شعار إسلامي ومضمون علماني، موقع «إسلام أون لاين» ٠٨-٠٧-٢٠١٠ م:

http://mdarik.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1277898721272&pagename=Zone-Arabic-MDarik/MDALayout

(٢) نادية ليلى عيساوي، تيارات الحركة النسوية ومذاهبها، الحوار المتمدن - العدد: ٨٥ - ٣ / ٩/ ٢٠٠٢م:

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=1065

أما سارة جامبل فقد أوردت تعريفًا أكثر شمولية؛ حيث ترى أن النسوية مصطلح يشير إلى كل من يعتقد أن المرأة تأخذ مكانة أدنى من الرجل في المجتمعات التي تضع الرجال والنساء في تصانيف اقتصادية أو ثقافية مختلفة، وتصر النسوية على أن هذا الظلم ليس ثابتًا أو محتومًا، وأن المرأة تستطيع أن تغيّر النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي عن طريق العمل الجماعي.[١]

الموجة النسوية الأولى:

انشغلت الموجة النسوية الأولى والتي ظهرت من أجل معالجة عدم المساواة الاجتماعية والقانونية التي كانت تعاني منها المرأة في القرن ١٩ في أوروبا، بقضايا التعليم والتوظيف وقوانين الزواج، ولم تكن الداعيات إليها يعتبرن أنفسهن نسويات أو يسمين أنفسهن بهذا الاسم؛ حيث انصبت مطالبهن على زيادة فرص الالتحاق بالوظائف العليا في المجتمع، وإقرار حق المرأة في الملكية الخاصة إلى جانب بعض التعديلات القانونية الأخرى التي أدخلت على حقوق حضانة الأطفال وحق الاقتراع.

انشغلت الموجة النسوية الأولى والتي ظهرت من أجل معالجة عدم المساواة الاجتماعية والقانونية التي كانت تعاني منها المرأة في القرن ١٩ في أوروبا، بقضايا التعليم والتوظيف وقوانين الزواج، ولم تكن الداعيات إليها يعتبرن أنفسهن نسويات أو يسمين أنفسهن بهذا الاسم.

تصدت مفكرات النسوية الأولى إلى ما توارثته الذاكرة الجمعية والفردية من أفكار سلبية عن المرأة من خلال صورة المرأة في التراث اليهودي والمسيحي- المرأة أصل الخطيئة-، وصورة المرأة في أعمال ومواقف العديد من المفكرين والفلاسفة الغربيين تجاه المرأة من (أفلاطون) الذي يصنّف المرأة في درجة دنيا مع العبيد والأشرار والمرضى، إلى الفلاسفة المتأخرين مثل (ديكارت) من خلال فلسفته الثنائية التي تقوم على العقل والمادة: فيربط العقل بالذكر ويربط المادة بالمرأة، مرورًا بـ(كانط) الذي يصف المرأة بأنها ضعيفة في تكوينها ككل، وبخاصة في قدراتها العقلية، وفيلسوف الثورة الفرنسية (جان جاك رسو) الذي يقول: إن المرأة وُجدت من أجل الجنس، ومن أجل الإنجاب فقط. و(فرويد) رائد مدرسة التحليل النفسي، الذي يُرجِع كل مشاكل المرأة إلى معاناتها من عقدة النقص تجاه العضو المذكر.[٢]

الموجة النسوية الثانية:

ارتبط ظهور الموجة الثانية من النسوية بصدور كتاب كيت ميليت عن السياسات الجنسية (Kate Millett, Sexual Politics, 1970)؛ إلا أن العديد من الأفكار التي أثّرت على الموجة الثانية من الحركة النسوية، وكذلك العديد من الأفكار التي سعت بعض النسويات لمواجهتها وتحديها، يمكن تتبع أصولها إلى:

- كتاب «أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة» لفردريك انجلز[٣]، وكذلك دراساته هو وماركس في هذا الإطار، التي تبرز بشكل واضح أن النظام الأبوي البطريركي الذي قام على سيطرة وتفوق واضطهاد الرجل للمرأة ليس من الصفات المميزة للطبيعة البشرية، وليست السمة الوحيدة التي وسمت المجتمعات منذ بدء الخليقة، بل إن البشرية عاشت العصر الأمومي، الذي كانت فيه القرابة تُحسب وفقًا لخط الأم، وكانت فيه الملكية جماعية،

(١) سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية، ترجمة أحمد الشامي، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م، المجلس الأعلى للثقافة، ص٣٣٧.

(٢) د. مية الرحب، الموجات النسوية في الفكر النسوي الغربي، موقع مجلة الثرى الإلكترونية:

http://www.thara-sy.com/thara/modules/news/article.php?storyid=1517.

(٣) فريدريك انجلز، أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة، النص مترجم على موقع الحوار المتمدن - العدد: ٢٩٣٨ - ٣ / ٨/ ٢٠١٠م، الرابط التالي:

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=197088

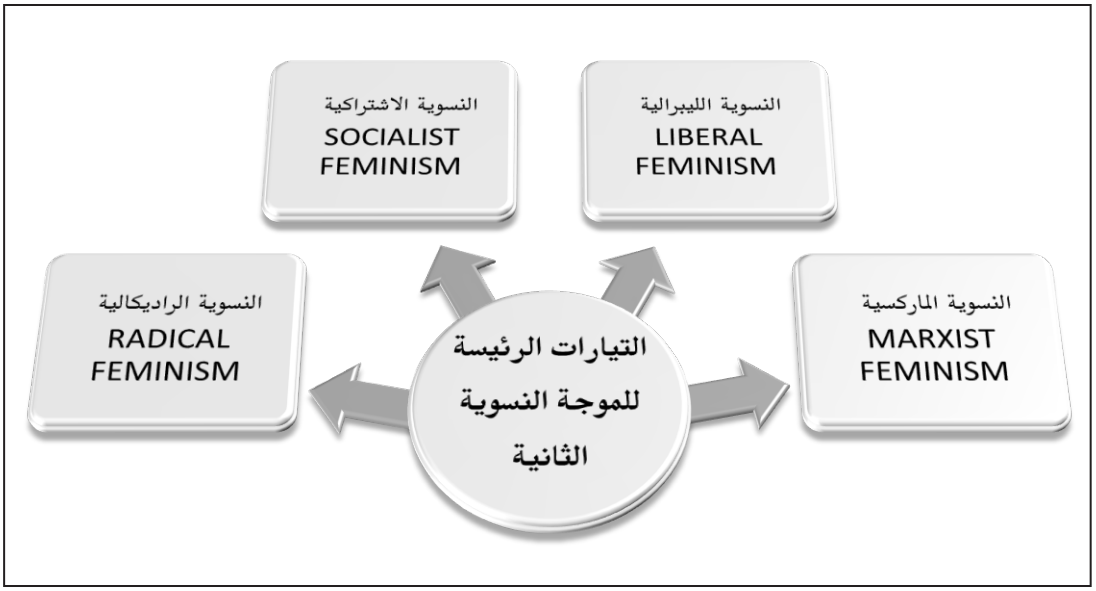

فـــكل ما تملكه القبيلة مِلْـــك لجميع أفرادها، قبل أن يتم الانقلاب الكبير الذي ســـيطر فيه المجتمع الأبوي البطريركي على مقاليد الأمور بظهور الملكية الخاصة، وتم إســـقاط الحـــق الأمومي، وتلك كانـــت الهزيمة التاريخية العالمية لجنس النساء؛ إذ ظهر شكل العائلة البطريركية، بشـــكل الزواج الأحادي، والذي كما يقول انجلـــز كان أحاديًا للمرأة فقـــط، التي فرضت عليها قيود العفة، وفرضت عليها رقابة صارمة بلغت حدود حبسها في البيت، أو مراقبتها بشكل دائم كي يضمن الرجل أن من تلدهم هم أولاده، وأن ملكيته ســـتنتقل لمن هم بالتأكيد من صلبه، وتدريجيًا تدنت قيمة المرأة داخل الأســـرة لتتحول إلى وعـــاء لتأمين متعة الرجل ووسيلة لإنجاب الأولاد، ومن ثم عبدة للرجل، «وعليه لا يدخل الزواج الأحـــادي إطلاقًا في التاريخ بوصفه اتحادًا اختياريًا بين المرأة والرجل، ولا بوصفه الشكل الأعلى لهذا الاتحاد، بل بالعكس، فهو يظهر كاستعباد جنـــس من قبل جنس آخر». كما رأت النســـويات أن عصر اضطهاد المرأة بدأ مترافقًا مع كافة أشكال قهر الإنسان لأخيه الإنسان، فالسيطرة الذكورية ارتبطت بســـيطرة القوة، واســـتغلال الأقوى للأضعف، ذلك الاستغلال الذي تحول إلى سياسة ثابتة حكمت جميع المجتمعات البشرية، ولا زالت تحكمها حتى اليوم. وقد انطلقت جميع الدراســـات النسوية اللاحقة من هذه النقطة؛ لأن جميع الدراسات اللاحقة اعتبرت العصر الأمومي، الذي تلاه العصر البطريركي الأبوي هو من المسلمات التي لا تحتاج إلى نقاش.[1]

ثم انقســمت الحركـة النســوية في هـذه الموجـة إلى تيـارات ومناهـج عدة، تشـير أغلـب الأبحـاث إلى أربعة رئيسة منها هي:

١- النسوية الماركسية MARXIST FEMINISM:

يعتبر نســـويو هـــذا التيار أن قمع المـــرأة وقهرها بـــدأ مع ظهور الملكية الخاصة. فنقـــل الملكية بالإرث سبّب مأســـســـة للعلاقات غير المتوازنة وتوزيعًا للمهام والأعمال على أساس من التمييز الجنسي. وقد شيدت الرأسمالية نظامًا للعمل يميّز ما بين المجالين الخاص والعام: فللرجل العمل المنتج والمدفوع، وللمرأة الأعمال المنزلية المجانية غير المصنفة ضمن الإنتاج. واستندوا إلى اعتبار إنجلز أن قيام الرأسمالية والملكية الخاصة أكبر هزيمة للجنس النسائي.[2]

والمقولة الماركسية الشـــهيرة التي تتحدث عن هذا

(١) د. مية الرحبي، الموجات النسوية في الفكر النسوي الغربي، مصدر سابق.

(٢) د. نادية ليلى عيساوي، تيارات الحركة النسوية ومذاهبها، مصدر سابق.

الوضع هي مقولة إنجلز في كتابه «أصل الأسرة والملكية الخاصة والدولة» عام ١٨٤٥م؛ حيث يرى إنجلز أن الأسرة البورجوازية تقوم على ركيزة مادية هي عدم المساواة بين الزوج والزوجة، وأن الزوجة في إطار الأسرة هي كالعاهرة التي لا تتقاضى أجرًا، وأنها تنجب الورثة الذين ستئول إليهم الملكية، ولا تحصل على شيء في مقابل ذلك سوى على المأكل والمشرب والمأوى، وانطلاقًا من هذا الموقف جاءت دعوة المانيفستو الشيوعي ١٨٤٨م إلى إلغاء الأسرة البورجوازية.

٢- النسوية الليبرالية FEMINISM LIBERAL :

ينتسب هذا التيار إلى خط الثورة الفرنسية وامتداداته الفكرية، ويستند إلى مبادئ المساواة والحرية للمطالبة بحقوق للمرأة مساوية لحقوق الرجل في مختلف مجالات الحياة السياسية والاجتماعية. ويتميز هذا التيار بإيمانه بقدرة النظام الرأسمالي على ملامسة الكمال والتكيف مع المتغيرات. ويعمل المنتمون إليه من أجل أن يوفر النظام القائم نفس الفرص والحقوق للنساء والرجال، من خلال التركيز على التربية وتغيير القوانين المميزة بين الجنسين وتكوين لوبيات الضغط وتغيير الذهنيات على المدى البعيد.[١]

وقد انتُقدت النسوية الليبرالية انتقادًا شديدًا من جانب من يعتقدون أنها لا تركز إلا على الجوانب السطحية للتحيز للرجل، وأنها لا تفعل شيئًا لتفكيك التراكيب الأيديولوجية العميقة التي تخضع النساء للرجال، كما هُوجمت بسبب انحيازها لنساء الطبقة الوسطى البيضاء، وتجاهلها الاحتياجات الخاصة بالأقليات.[٢]

٣- النسوية الاشتراكية FEMINISM SOCIALIST:

أما تيار النسوية الاشتراكية فيعتقد بارتباط ظهور الملكيات الخاصة في التاريخ مع قمع المرأة، فتوريث الملكيات الخاصة عمل على زجّ العلاقات الإنسانية ضمن مؤسسات اجتماعية، وعلى توزيع المهام اعتمادًا على أساس التمييز الجنسي. فأضحى الرجل مالكًا والمرأة تابعة مملوكة. ويرى هذا التيار أن نظام العمل الرأسمالي يعتمد على ثنائية الرجل العامل: المنتج، والمرأة: الأعمال المنزلية المجانية التي لا تعتبر من ضمن الإنتاج؛ حيث اعتمد ذلك التيار على مقولة «إنجلز» بأن قيام الرأسمالية والملكية الخاصة أكبر هزيمة للجنس النسائي.[٣]

تعتمد هذه النظرية على مبدأ أن المجتمع يتضمن بنيتين مسيطرتين، هما: النظام الرأسمالي والنظام الأبوي، وكلا النظامين يستغل النساء ويضطهدهن، وطالبت هذه النظرية بحرية الإنجاب، والمسئولية الوالدية المشتركة، وتطوير مختلف أشكال المشاركة بالإنتاج الاجتماعي، وتقويم العمل المنزلي اقتصاديًا، والانتباه إلى الخصوصية المعرفية النسائية، وإعادة كتابة التاريخ وتقييم مساهمة النساء في صنع الحضارة، وربط الخاص بالعام.[٤]

٤- النسوية الراديكالية: FEMINISM RADICAL

من الموضوعات التي كثيرًا ما يهتم بها هذا الفرع من النسوية: تأثير النظام الأبوي على القمع الذي تتعرض له المرأة، فعلى العكس من حركة تحرير المرأة، تؤمن النسوية الراديكالية بأن السلطة الذكورية هي أصل البناء الاجتماعي لفكرة النوع (رجلاً أو امرأة)، وترى أن هذا النظام لا يمكن إصلاحه، ولذلك يجب القضاء عليه -لا على المستوى السياسي والقانوني وحسب- ولكن على المستوى الاجتماعي والثقافي أيضًا.

(١) المصدر السابق.

(٢) سارة جامبل النسوية وما بعد النسوية، مرجع سابق، ص٣٩٤.

(٣) روزا ياسين حسن، الفكر النسوي ورؤاه المتباينة في محاولة تغيير العالم، موقع جريدة الثورة السياسية اليومية، ٢٠٠٩/٩/٢٩م:
http://thawra.alwehda.gov.sy/_print_veiw.asp?FileName=20345626720090929104138

(٤) د. مية الرحبي، الموجات النسوية في الفكر النسوي الغربي، مصدر سابق.

وترى بعض النسويات مثل تاي جريس أتكينسون في كتابها «أوديسة الأمازون» أن النسوية الليبرالية ليست عديمة الفائدة فحسب، ولكنها أسوأ من ذلك، وأن المواجهة من خلال إعلان الحرب ضد الرجال والمجتمع هي الطريق الوحيد لإحراز المكاسب في هذا الصدد. واستعاد هذا المذهب قول المفكرة والنسوية الفرنسية سيمون دو بوفوار: «لا تولد المرأة امرأة، ولكن المجتمع هو الذي يعلمها أن تكون امرأة» جاعلاً منه أبرز شعاراته.

وفي فترة السبعينيات رأى التيار النسوي أن التمييز بين الرجل والمرأة يتبلور بشكل أساسي في العلاقات الجنسية بينهما، ولمحاربة هذا التمييز ينبغي اجتثاث الجذر، وهو العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة، وخلق علاقات مثلية يكون الطرفان فيها متساويين.

تقول: شولاميث فايرستون في كتابها جدلية الجنس: إن القضاء على الأدوار المرتبطة بالجنسين لن يتحقق إلا بالقضاء على الأدوار الثابتة التي يقوم بها الرجل والمرأة في عملية الإنجاب. ومن هنا فإن منع الحمل والتعقيم والإجهاض، ثم التلقيح الصناعي منذ ذلك الحين كلها وسائل تساعد على تقليل التمييز البيولوجي، ومن ثَم الحد من التمييز بين الجنسين في مجال السلطة.[1]

ترى بعض النسويات مثل تاي جريس أتكينسون في كتابها «أوديسة الأمازون» أن النسوية الليبرالية ليست عديمة الفائدة فحسب، ولكنها أسوأ من ذلك، وأن المواجهة من خلال إعلان الحرب ضد الرجال والمجتمع هي الطريق الوحيد لإحراز المكاسب في هذا الصدد.

هكذا ركزت الموجة النسوية الثانية على الأطر الفلسفية، وهب وإن لاقت انتشارًا داخل المجتمعات الغربية إلا أنها لم تخطر بنفس القدر من القبول داخل المجتمعات الإسلامية إلا من بعض المظاهر السلوكية وهو الأمر الذي دفع بتلك الحركات النسوية للاندماج مع بعض التيارات الفكرية الأقوى من أجل إيجاد أرضية جديدة تستطيع من خلالها التغلغل داخل المجتمعات الإسلامية.

(١) سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية، مرجع سابق ص٤٥٨.

الموجة النسوية الثالثة:

مصطلح يصف تجدد الاهتمام بالدعوة النسوية من جانب الجيل الشاب من النساء اللاتي لا يردن أن يوصفن بتسمية ما بعد النسوية، وتتميز الموجة النسوية الثالثة بالرغبة في معالجة صور الخلل الاقتصادي والعنصري إلى جانب «قضايا المرأة»، لم تحقق الموجة النسوية الثالثة الشهرة الواسعة، ولم تنجح حتى الآن في كسب التأييد الحماسي الذي تحقق للموجة النسوية الثانية في أوُجّها.

قراءة في النظريات النسوية الجديدة:

تقول ساندرا هاردنج في كتابها «سؤال العلم في النسوية»: «إن استبعاد المركزية الذكورية من العلم هو استبعاد للعنصرية والاستعمارية والرأسمالية، وإذا كان الكفاح ضد هذا بدا للكثيرين والكثيرات أهم من الكفاح النسوي ضد السيطرة الذكورية»، وتعلق الدكتوره يمنى طريف الخولي أستاذة فلسفة العلوم ومناهج البحث في كلية الآداب جامعة القاهرة على عبارة هاردنج الآنفة قائلة: «يمكن اعتبار كاتبة هذه السطور أول هؤلاء الكثيرين -أو بالأحرى الكثيرات- كنت أرى صراعنا مع الصهيونية والإمبريالية يجعل الانشغال بأي صراع آخر لغوًا، وبالتالي لم تكن الصراعات النسوية لتستوقفني ألبتة، حتى ذهبت إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٩٦م، ووجدت الاهتمام المستجد بفلسفة علم النسوية، بدأت أتعرف عليها وأدرسها لأنبهر وأنا أرى نسويات الغرب يواجهن الاستعمارية الغربية بهذه البسالة الفلسفية. بدأ اشتباكي الحميم بفلسفة علم النسوية التي تضطلع دونًا عن كل فلسفات العلم بمواجهة الإمبريالية».[2]

(٢) د. يمنى طريف الخولي، النسوية وفلسفة العلم، موقع معهد الأبحاث والتنمية الحضارية، ١٥ /١٠/ ٢٠٠٨ م:
http://www.alhadhariya.net/dataarch/dr-falsafyyah/index32.htm

وترى النسوية الجديدة أن هناك ثلاث مقهورات «المرأة والطبيعة وشعوب العالم الثالث»، وربطت النسوية بين تلك الثلاث بسلطة الرجل الأبيض المركزية، وترى أنه لا بد من ظهور فلسفة جديدة تنقض تلك المركزية الجائرة، وتقر بقيمة تلك الأطراف وحقوقها؛ بالتالي تصون الحقوق التي أهدرت للمرأة وللطبيعة ولشعوب العالم الثالث.

فإن كان من الممكن فهم تلك المقهورات الثلاث من وجهة نظر المرأة في الدول التي استُعمرت من قبل، لكن كيف يتم فهم تلك النظرية من قبل المرأة الغربية التي لم تخضع للاستعمار؟ ترى بريندا ميهتا: أن النسوية الغربية قد التقت مع المجتمعات التي تحررت من الاستعمار في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، التقت في الخلاص من قهر الرجل الأبيض، كلاهما كان آخر بالنسبة إليها.[١]

تلك الأطروحات التي أصّلتها النسوية الجديدة تحتاج إلى محاولة تفكيكية حتى نقف على المضمون الحقيقي للترويج لتلك الأفكار.

النسوية البيئية Ecofeminism:

ارتبط مفهوم الأيكولوجيا في بداية نشأته بعلم البيولوجيا. وسرعان ما نما هذا العلم وتطوّر ليكتسح مجالات وحقولاً جديدة، وينفتح على اختصاصات علميّة وطبيعيّة كثيرة. فمجال هذا العلم واسع جدًّا. وهو يشمل اختصاصات متنوّعة مثل علم المناخ وعلم المياه، وعلم المحيطات والكيمياء والجيولوجيا أو علم الأرض والبيدولوجيا، أو علم التربة، إضافة إلى الرياضيات والفيزيولوجيا (علم يدرس عوامل تكاثر الكائنات أو انقراضها أو تزاوجها)، وعلم الوراثة والإيتولوجيا (علم يدرس سلوك الحيوانات).

وقد ظهرت في العالم حركات يسمّي الناشطون فيها أنفسهم أصدقاء الإيكولوجيا (les partisans de l'écologie) غايتها الدفاع عن البيئة ومقاومة التلوّث. ونشأت هذه الحركات الإيكولوجيّة نتيجة الوعي بالمخاطر التي تعرّضت إليها البيئة في الحضارات المصنّعة. ثمّ تحوّلت هذه الحركات إلى جمعيات وأحزاب سياسيّة في أوروبا في ثمانينيّات القرن الماضي[٢]، وانتقلت منها إلى كثير من دول وبلاد العالم.

أول من صكّ مصطلح «النسوية البيئية» هي فرانسواز دوبون في كتابها النسوية أو الموت في عام ١٩٧٤م، ويتفق أنصار هذا التيار على وجود روابط مهمة بين السيطرة على النساء والسيطرة على الطبيعة، وعلى أن فهم هذه الروابط ضروري للمذهب النسوي، والغرض من وجود التيار النسوي المهتم بالبيئة هو إبراز وجود السيطرة المزدوجة على المرأة والطبيعة، وتوضيح طرق هذه السيطرة، وإجراء التحليلات والممارسات التصحيحية متى كان ذلك ضروريًّا.[٣]

وقد بدأت الايكوفمنزم كحركة اجتماعية معنية بقضايا اضطهاد المرأة والطبيعة في آنٍ، لتتحول إثر ذلك الربط الموضوعي بين الحركتين إلى حركة تحررية كبرى، كما بات منظّروها أميل إلى استدماج وسائط الجنسانية بالحاضن الطبيعي كقيمة مهيمنة، بما في ذلك حقوق الحيوان، وهكذا دخل البيئيون النسويون في قضايا التمييز العنصري والاجتماعي، حتى صارت الحركة تعني مناهضة كل ما يشي بالتفرقة أو الاضطهاد العرقي أو الطبقي أو البيئي، وعليه تم تأوين ذلك المنطلق الحقوقي من التفكير المغرق في النسوية، وترحيله إلى آفاق الثقافة والفن واللغة والعلوم والدين.[٤]

(١) د. يمنى طريف الخولي، المصدر السابق.

(٢) مصطفى القلعي، البيئة والأيديولوجيا، موقع الأوان، ٢٠ /١١/ ٢٠٠٩
http://www.alawan.org/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%8A%D8%A6%D8%A9.html

(٣) سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية، مرجع سابق، ص٣٢٣.

(٤) مصطلحات نسوية: الإيكولوجيا النسائية.. (المرأة أرض..الأرض امرأة)، شبكة النبأ المعلوماتية، ٢٠٠٧/٦/٢٨م:
http://www.annabaa.org/nbanews/64/185.htm

المنطلقات الفكرية للنسوية البيئية:

نستطيع أن نقول: إن النسوية البيئية أو (الايكوفمينزم) حركة لا تدعو إلى التماهي مع الطبيعة فقط، بل تذهب إلى أبعد من ذلك، ومن وجهة نظر حقوقية، إلى محاربة كل المؤشرات والمظاهر «الأبوية» التي تستهدف - في رأيهم- الطبيعة والنساء على حد سواء، من خلال ربط «الجندر» بكافة أشكال الاضطهاد، فالمشكلة بتصور الإيكولوجيين النسويين لا تكمن في عدوان البشر على الطبيعة، ولكن تكمن بشكل أساس في مركزية السلطة الذكورية، وعدم إقرارها بأهمية وجود المرأة.

شهدت بضعة العقود المنصرمة اهتمامًا هائلاً بكل من حركة النساء والحركة البيئية. وقد حاجج كثير من مفكري النسوية بأن أهداف هاتين الحركتين مترابطة ومتبادلة التآزر. ففي المآل، كلاهما يتضمن تطوير نظرات إلى العالم وممارسات خالية من نماذج الهيمنة المنحازة ذكوريًا.

وقد عبرت روزماري رادفورد رويثر عن ذلك في كتابها «امرأة جديدة.. أرض جديدة» الصادر عام ١٩٧٥م قائلة: «ينبغي أن تدرك النساء أنه ليس بالمستطاع تحريرهن ولا حلُّ الأزمة البيئية في سياق مجتمع ما يزال النموذج الأساسي لعلاقاته هو الهيمنة. فيجب عليهنّ توحيد مطالب حركة النساء مع مطالب الحركة البيئية بغية تصوّر إعادة تشكيل جذرية للعلاقات الاجتماعية والاقتصادية الأساسية والقيم المبطنة في هذا المجتمع [الصناعي الحديث].[١]

ومنذ أوائل السبعينيات دافع الكثير من النسويين، وعلى الأخص النسويون الإيكولوجيون، عن الموقف الأساسي، ألا وهو أن (البيئة قضية نسوية).

وفي الثمانينيات، ومع تصاعد الكوارث البيئية، دخل النسويون في الموضوع البيئي بقوة أكثر. وتصدرت النسوية الهندية فاندانا شيفا تيارًا نسويًا بيئيًا ارتفعت شعبيته في دول العالم الثالث، ومفاد مقولتها: أن المرأة تتعرّض لنفس أنماط الاستغلال التي تتعرض لها الموارد الطبيعية على يد النظام الرأسمالي ورجاله. وبالتالي، لا يمكن لغير ثقافة سلمية، معادية للرأسمالية ومحترمة للشعوب والطبيعة أن تلغي الاستغلال والتمييز اللذين تتعرض لهما نساء الكون.[٢]

وهذا الذي تبنته عالمة الفيزياء الهندية فاندانا شيفا ساهم في صياغة النسوية البيئية؛ حيث رأت أن العلم الغربي والتطور الرأسمالي، كلاهما يشتركان في الاستغلال، العلم يستغل الطبيعة ويحيلها إلى طرف سلبي، والرأسمالية تستغل المرأة وتحيلها إلى طرف سلبي.

وترى فاندانا أن المجتمع الأمومي كان موجودًا في مواطن شتى من الثقافات البدائية، قبل أن يقضي عليه المد الاستعماري، واستبدل به المجتمع البطريركي؛ لأنه الشكل الذي اتخذته الحضارة الغربية الغازية، مثلما قضى على مساحات شاسعة من الغابات الإفريقية بزعم التحديث بالزراعة المميكنة، وفرض أشكالاً أخرى من تكنولوجيات غير ملائمة تنال من التوازن البيئي بغير داعٍ. ومن أجل إنقاذ البيئة، دافعت عن أنطولوجيا نسوية يترابط فيها المجتمع بالطبيعة، كمقابلة للأنطولوجيا الذكورية الغربية القائمة على الانفصال عن الطبيعة كآخر، فكان ما كان من كوارث استعمارية وبيئية.[٣]

إذن مربط الفرس هنا هو الربط بين السيطرة على النساء من قِبل الرجال، والسيطرة الذكورية على الطبيعة الذي أدى إلى مشكلة البيئة، بحيث إن اقتلاع هذا الجذر -أي اقتلاع مركزية العقل الذكوري- هو

(١) كارين ج. وارين، مدخل إلى النسوية الإيكولوجية، موقع معابر:
http://www.maaber.org/issue_november09/deep_ecology1.htm

(٢) نادية عيساوي، التيارات الرئيسة في الحركة النسوية: موقع الرأي:
http://www.arraee.com/modules.php?name=News&file=print&sid=31299

(٣) د. يمنى طريف الخولي، النسوية وفلسفة العلم. مصدر سابق.

تحرير المرأة من حيث هو الحفاظ على البيئة.[1]

نسوية ما بعد الاستعمارية أو (ما بعد الكولونيالية post colonialism) :

الكولونيالية أو الاستعمارية تعني احتلال دولة لدولة أخرى خارج حدودها سياسيًا واقتصاديًا، بالاعتماد على القوة العسكرية، وهي أقرب إلى مفهوم الاستعمار المتداول في كتب التاريخ.

أما مصطلح (ما بعد الكولونيالية) أو (ما بعد الاستعمار) فهو من المصطلحات الشائعة في الساحة الثقافية، وإن كان فيه من الشمولية والاتساع ما يجعله يُستخدم في أكثر من مجال.

ويقصد به إجمالاً ما بعد الموجة الاستعمارية أو الاحتلالات العسكرية للبلدان أو الشعوب التي استُعمرت وسُلبت ثرواتها، ونُهبت خيراتها من لدن الدول الكبرى.

أول من صكّ مصطلح «النسوية البيئية» هي فرانسواز دوبون في كتابها النسوية أو الموت في عام ١٩٧٤م، ويتفق أنصار هذا التيار على وجود روابط مهمة بين السيطرة على النساء والسيطرة على الطبيعة، وعلى أن فهم هذه الروابط ضروري للمذهب النسوي.

ويُعرِّف الباحث كريس دوهمان في قاموسه (أفكار ومفكرون) نظرية ما بعد الكولونيالية بأنها: (حركة في النقد الاجتماعي والأدبي ترد على آثار الإمبريالية الأوروبية على الشعوب المستعمرة)، ويضيف: (إن دلالة مصطلح ما بعد الكولونيالية لا تتضمن فقط بعد المرحلة الاستعمارية، بل إنها مقاربة نقدية أيضًا، والتي تبرز من الاستعمار لتصارع أسسه).[2]

ومن أشهر من تحدث عن مصطلح ما بعد الاستعمارية من الكتاب الغربيين: (لبيل اشكرونت، وآلان لوسون، وجاريت جريفيت، وهيلين تيفين، وباتريك ويليامز، ولاورا كريسمان)، فضلاً عن الكاتب الأمريكي من أصل فلسطيني (إدوارد سعيد)، الذي طوّر هذا المصطلح ووسّع مباحثه. لاسيما في كتابه (الاستشراق) والذي شفعه بكتاب آخر هو (الثقافة والإمبريالية)، ولعله هو المؤسس الحقيقي لهذا الموضوع، وهو من لفت النظر إلى هذا المصطلح.

إن ولادة مصطلح (ما بعد الاستعمارية) يشير إلى ولادة مصطلح جيد ينطلق من فرضية نهاية الاستعمار التقليدي، وإيجاد مرحلة جديدة من الهيمنة تمثلت بـ(الإمبريالية)، و(الاستعمارية Colonialism)، وتوجه نقدًا متصلاً للتحيزات الكامنة في المركزية الغربية، لذلك نهض خطاب ما بعد الاستعمارية ضد مفاهيم (العالمية Universality)، التي حاولت المركزية الغربية تعميمها على جميع المحطات في العالم، بوصفها -أي المفاهيم- مظاهر كونية تمتلك رؤى إجمالية للمحافظة على هذا الكون.

ويرى إدوارد سعيد بأن مبادئ الغرب، التي تبدو كونية، هي في الحقيقة بُنَى أيديولوجية، وإن حضارة واحدة -والمقصود بها الحضارة الغربية- لا يمكن أن تدين حضارة أخرى، ولا بد من قدر كبير من النسبية.

ومصطلح ما بعد الكولونيالية مصطلح جديد دخل في الثقافة المعاصرة، فالشمولية التي تحتوي المصطلح تكمن في أسلوب الطرح والتعامل مع قضايا متفرعة ومتنوعة لا تقف عند حد معين، ومن ضمنها الصراع الحضاري والتعالي في استخدام مصطلح الشمال في مواجهة الجنوب، والنظرة الفوقية والمركزية الأوروبية أو الغربية.

كل تلك المجالات أنتجت أدب ما بعد الكولونيالية، وهي مجالات يشترك فيها التاريخ بكل صوره، وبكل ما يحمل من طرفي الصراع والوجود والجانب السياسي والاقتصادي، والذي هو من الركائز الحيوية والمهمة في عملية بدء الصراع والاحتلال لمنابع الثروات، بما

(١) المصدر السابق.

(٢) أزراج عمر، نظرية ما بعد الكولونيالية : المقاومات والنقد، موقع البلاغ: http://www.balagh.com/malafat/yl1chzmr.htm

في ذلك الصراع المزعوم بين الرجل والمرأة.

المنطلقات الفكرية لنسوية «ما بعد الكولونيالية»:

ترى النسوية (Feminism) أن نظرية ما بعد الكولونيالية (Post-colonialism) تمثل الإطار النظري في نضالها، فهي ترى أولاً: أن كلا الخطابين (النسوية وما بعد الكولونيالية) يهتمان بالصراع ضد القمع والظلم، إضافة إلى أن كليهما يرفض النظام المؤسساتي البطريركي (الأبوي) الذي تغلب عليه السيطرة الذكورية البيضاء، ويرفض بصورة شديدة التفوق المفترض للقوة الذكورية وسلطتها. وترى النسوية أن الإمبريالية، مثل البطريركية، هي رغم كل شيء أيديولوجية تستعبد موضوعها وتهيمن عليه.

ترى النسوية (Feminism) أن نظرية ما بعد الكولونيالية (Post-colonialism)، تمثل الإطار النظري في نضالها، فهي ترى أولاً: أن كلا الخطابين (النسوية وما بعد الكولونيالية) يهتمان بالصراع ضد القمع والظلم، إضافة إلى أن كليهما يرفض النظام المؤسساتي البطريركي (الأبوي).

وبهذا المعنى تكون المرأة التي تتعرض للقمع مماثلة للموضوع المستعمَر بفتح الميم.

وتربط النسوية بين النساء و«السكان الأصليين» باعتبارهم جماعات أقلية محددة بشكل جائر بوساطة كل من البطريركية والكولونيالية. وتستجيب دراسات ما بعد الكولونيالية حاليًا لوجهة النظر هذه، وبالتالي تنخرط بنفسها في قضية الجنوسة (الجندر Gender).

ويؤكد هذا الاتجاه أنه بينما كانت الممارسة التقليدية للسلطة الأبوية موجودة ومحصورة في أيدي رجال محددين (الأب، والزوج، ورجال الأسرة الآخرين)، فإن انتقال السلطة للمجال الاجتماعي، وخاصة عندما تدعم الدولة القوى المحافظة والدينية، قد حولت الحق في السيطرة إلى كل الرجال.

وهناك عدد مهم من النصوص الأدبية التي كتبت من وجهة نظر نسوية وما بعد كولونيالية، وغالبًا ما تتقاسم هذه النصوص الآراء حول الفردية والتفاوت للموضوع، إضافة إلى القبول باستراتيجيات مشتركة للمقاومة ضد القوى الخارجية المستبدة، والتي هي عند النسوية سلطة الأب أو الزوج أو المجتمع الذي يحدّ من حريتها المطلقة.

فعلى سبيل المثال تشبه الكاتبة «بيل آشكروفت»، في مفاهيمها الرئيسة في دراسات ما بعد الكولونيالية «دراسات الجسد» في نسوية «ما بعد الكولونيالية». وهذا يوحي بأن الفضاء المستعمَر في خطاب النسوية هو جسد الأنثى الضعيف.

وتعبر النسوية البارزة روبين مورغان Robin Mo-gan عما تراه من قهر عالمي للنساء بوصفها النساء بأنهن شعب خاضع للاستعمار، وقد تم استعمار أرضهن النفيسة -أي أجسادهن- من قبل المجتمع البطريركي. أما الأمر الأكثر أهمية فهو أن تلك الأرض بما فيها من موارد يتم استغلالها: حيث يتم إجبار النساء على الإنجاب دون أي ضمانات من قبل الرجال تؤكد التزامهم بدعم أو رعاية أو تحمل أي مسئولية على الإطلاق تجاه الطفل. كما أن النساء قد استوعبن تمامًا الأفكار المعادية للنساء عن أجساد النساء باعتبارها «نجسة»، وهي دائمًا موضوعة في الخدمة لتحقيق الرغبات الإنجابية للرجال».[1]

بعد أن وقفنا على المنطلقات الفكرية والمفاهيمية للمقهورات الثلاث: المرأة، والبيئة وشعوب العالم الثالث. بقي الحديث عن النسوية الإسلامية، وإن كان لا يمكن عدها من صور النسوية الجديدة، كما هي في الغرب، إلا أنها تمثل أحد مشاريع اختراق الخطاب الدعوي الإسلامي، فالنسوية الإسلامية، وإن كانت ليست ذات ثقل واضح في العالم العربي والإسلامي، إلا أن بواكير ذلك المشروع بدأت تطل برأسها على استحياء في العالم الإسلامي، وبشكل أكبر لدى

(١) د. مية الرحبي، الموجات النسوية في الفكر الغربي. مصدر سابق.

المسلمين في الغرب، لذا فتناولها في الدراسة يوضّح بشكل جلي أن ثغرة جديدة فُتحت على مصراعيها أمام الهجمة الغربية على الإسلام.

نسوية (المقاربة الثالثة) أو نسوية الحداثة الإسلامية:

تنظر الحركات الإسلامية والناشطات والداعيات الإسلاميات بوجه عام إلى مفهوم النسوية نظرة استهجان وازدراء؛ لأنهم ينظرون إلى النسويين كعلمانيين، بينما يعتقدون في المقابل بضرورة متابعة قضية حقوق المرأة عبر تطبيق الشرع الإسلامي بشكل كامل وشامل لكافة قضايا المجتمع، بما فيها قضية المرأة.

ففي دراسة أجراها مركز كارنيجي حول المرأة في الحركات الإسلامية، تبين أن الناشطات في التيارات الإسلامية يتبنين رأيًا يؤكد على تكامل الأدوار بين الرجل والمرأة، ويرفضن رفضًا تامًا فكرة اعتبارهن رأس الحربة في حركة نسوية تُوصَف بالإسلامية، ويرين أن «الإسلام والنسوية مصطلحان متناقضان»، وكشفت تلك المقابلات عن رفض وازدراء لمفهوم النسوية الغربية التي يفسرنها كحركة لتحرير النساء من كل القيود الاجتماعية، والواجبات تجاه الأسرة والمجتمع؛ ما يؤدي إلى الفردية المفرطة والخروج عن تعاليم الإسلام.

تقول الباحثتان أميمة عبد اللطيف ومارينا أوتاوي: «والجدير بالذكر أن كل النساء اللاتي أجرينا معهن المقابلات هن ناشطات اكتسبن مراكز وشرعية واحترامًا ضمن الحركات التي ينتمين إليها، ومن هنا شعورهن بالقوة والثقة، بيد أنهن رفضن رفضًا تمامًا فكرة اعتبارهن رأس الحربة في حركة نسوية إسلامية».[1]

ولا بد هنا من الإشارة إلى مقاربة ثالثة لحقوق المرأة في العالم الإسلامي، تختلف عن كل من مقاربة الغرب التقليدية، ومحاولة الإسلاميين إنشاء مفهوم مختلف لحقوق المرأة مشتق من المبادئ الإسلامية، وهي تكمن في محاولة بعض منظمات المسلمات إظهار مواءمة المفهوم الغربي لحقوق المرأة مع الإسلام، علمًا بأن العديد من هذه المنظمات نشأت في الغرب وتتلقى تمويلاً منه، وهي غالبًا ما توجه نقدًا لاذعًا للتاريخ الإسلامي وتفسيره السائد.. كما تعتبر هذه المجموعات التوفيق بين المفهوم الغربي لحقوق المرأة وبين الإسلام مهمًا لأسباب عملية «فأي نسوية لا تبرر نفسها ضمن الإسلام محكومة بأن يرفضها باقي المجتمع، وهي بالتالي تهزم نفسها بنفسها».[2]

في هذا السياق ظهر في بداية التسعينيات ما اصطُلح على تسميته بالنسوية الإسلامية. كبديل عن النموذج الغربي، يَصبغ نفسه بالصبغة الإسلامية، بدعوى (ذاتية مشكلات العالم الإسلامي والجذور الثقافية التي تنبثق عنها، بالإضافة إلى غلبة الاتجاهات النسوية الراديكالية على مجمل الحركة النسوية).[3]

ولا يُعرف على وجه التحديد متى نشأ مصطلح «النسوية الإسلامية» لكن هناك إشارات إلى أنه ظهر في بداية التسعينيات في تركيا، مع كتاب نوليفير غول «الحداثة الممنوعة» عام ١٩٩١م.[4]

فمع بداية ظهور مصطلح تحرير المرأة الذي هيمن عليه في البداية قضايا؛ مثل الحجاب، وتعدد الزوجات، والعمل خارج المنزل، وما أعقبه من تطورات داخل الحركة النسوية من تبنيها لأيديولوجيات ذات مرجعية

(١) أميمة عبد اللطيف، ومارينا أوتاوي، المرأة في الحركات الإسلامية: نحو نموذج إسلامي لنشاط المرأة، سلسلة الشرق الأوسط، مركز كارنيجي للشرق الأوسط، رقم ٢، يونيو ٢٠٠٧م، ص٩.

(٢) المصدر السابق، ص١١.

(٣) د.أماني صالح، نحو منظور إسلامي للمعرفة النسوية، ضمن كتاب المرأة والحضارة، ط١، ٢٠٠٠م. على الرابط:
http://www.aswic.org/Content/Periodicals/DR.AMANI-3.pdf

(٤) دلال البزري، النسوية الإسلامية، موقع «مركز دراسات الظاهرة الإسلامية»: http://islamismscope.org/index.php?art/id:285

فلسفية تفرعت منه قضايا عديدة مثل الجندرة، والتمكين، والجنوسة وغيرها من المصطلحات، إضافة إلى ارتباط الحركة النسوية في العالم الإسلامي بمبادئ ورؤى النسوية الغربية. جعلها في مرمى نيران الوصف بالتبعية الاجتماعية والفكرية للغرب، أو أنها مشروع «كولونيالي» تجب «مقاومته».

تقول زهراء علي[1]: «أعتقد أن النسوية هي تطبيق للمساواة بين الأجناس، وأداة لمفهوم يهدف إلى تفسير وملائمة الجنسية والظلم ضد المرأة، وهي ارتباط وعمل سياسي. وككل الحقائق السياسية عندما تُفهم بطريقة جازمة أو دوغمائية، تملك النزعة لتصبح أداة أيديولوجية. عرفناها هكذا خلال الفترة الاستعمارية عندما كانت النسوية تُستخدم لتساعد الهدف الاستعماري والسيطرة الغربية على الأراضي الإسلامية».[2]

وهذا الاتجاه يرى الإسلاميون خطورته في كونه «ليس مجرد فكرة حول الحقوق الاجتماعية للمرأة بقدر ما أنه يدور حول فكرة الهوية نفسها». بمعنى أن «الهوية الإسلامية مهددة هنا». وبالمقابل يقلق النسويات العربيات؛ إذ يعني تراجع العلمانية والليبرالية واليسار أمام الإحيائيين ليصبح الإسلام هو الخطاب السائد.. تقول «دلال البزري»: «ورثت النسوية الإسلامية كل مفاعيل اندفاعة النسوية الغربية لكنها تنكّرت لها، وقالت: إنه الإسلام».[3]

المنطلقات الفكرية لنسوية الحداثة الإسلامية:

ترى النسوية الإسلامية أن الرسالة الروحية للإسلام قد طُعنت. فبدلاً من المساواة التي كان الدين ينادي بها، حوّل النظام الذكوري، الأبوي، هذه الرسالة إلى أداة لاضطهاد النساء. وبينما دعا الإسلام إلى تحرر النساء قامت «التقاليد الأبوية التمييزية» بمصادرته. والنسوية الإسلامية ترى أن «الخطاب النظري» الإسلامي الذي يرى أن الإسلام أعطى المرأة حقوقها ورفع قدرها هو خطاب «ضعيف في حجته argumentation»؛ فقد قصر رسالة الإسلام على مسألة «الهندام»، و«أخطار الفتنة النسائية»، ومفاصل ووظائف ونتوءات الجسد النسائي.

وترى النسويات الإسلاميات أن القراءة الأبوية، التي سمحت بالعنف والتمييز ضدهن وليس الإسلام، بل القراءة الذكورية للإسلام هي التي تضطهدهن».

تقول زينب أنور المديرة التنفيذية لجماعة أخوات في الإسلام، وهي منظمة ماليزية تعمل من أجل حقوق المرأة في إطار العمل الإسلامي: «في مجتمعاتنا الرجال يمتلكون السلطة، وهم يقررون ما ينبغي أن يعنيه الإسلام، وكيف يمكنا أن نطيع هذا المفهوم المعين في الإسلام». وقالت: «لا أستطيع أن أعيش مع إله ظالم. القانون نفسه تقدّمي لكن أولئك الرجال الذين يسيطرون عليه ليسوا كذلك».[4]

بل إن البعض طالب في ورشة عمل «النساء العربيات بين الإيمان الديني والعدالة الاجتماعية»، التي انعقدت في القاهرة في عام ٢٠٠٥م، بضرورة بلورة خطاب نسوي ديني يسعى إلى «أسلمة التمكين»

(١) تدير زهراء علي الفرنسية من أصل عراقي جمعية الهدى، وهي جمعية للنساء المسلمات في فرنسا، تسعى من خلالها إلى إثبات أن تعاليم الدين الإسلامي لم تتعارض يومًا مع العقل والعلم، وإنما التفسيرات المتطرفة هي التي دفعت به نحو هذه الحدود الضيقة، وطبعته بطابع الجمود والانعزال وعدم القابلية للتطور ومجاراة العصر. لها العديد من الدراسات والمقالات المهمة حول الإسلام والمرأة، أرادت من خلالها إظهار الوجه الحقيقي للإسلام وموقفه من المرأة على حد زعمها.

(٢) مجلة الثرى- العدد ٢٤١ تاريخ ١٠-٧-٢٠١٠م السنة السادسة. الإسلام النسوي (تطبيق في الحاضر)، حوار مع زهراء علي:
http://www.thara-sy.com/thara/modules/news/article.php?storyid=1658

(٣) معتز الخطيب، النسوية الإسلامية والتحيزات الذكورية، موقع إسلام= = أون لاين.٣/٧/ ٢٠٠٥م:
http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1173694771369&pagename=Zone-Arabic-AdamEve%2FAEALayout

(٤) خبر على العربية نت بعنوان: قلن: إنهن «يرفضن العيش مع إله ظالم»:
www.alarabiya.net/articles/2006/11/20/29233.html

و«أسـلمة الجندر» وغيرها من مصطلحات الحركات النسائية التي تستخدمها للتعبير عن حقوق المرأة.[١]

ولتأكيد فكرتهن حول المساواة المطلقة بين الجنسين ترجع النسويات الإسـلاميات إلى مفهومي «العدالة» و«الخلافة» في القرآن، والمطلوبين من الجنسين.

تذكر الكاتبة «مارتينا سابرا»[٢] في مقال لها بعنـوان «مطلوب قـراءة معاصرة للإسـلام تقر بكينونـة المـرأة»: «أن الطبيبة والكاتبة المغربية أسماء المرابط قامت في عام ٢٠٠٤م بتأسيس مجموعـة عمل لقضايـا المرأة والحـوار عبـر الثقافـات في الرباط، وقد أصبحـت المبادرة الآن معروفـة عبر العالم، إضافة إلـى بعض الدول الغربية».

تنقل سـابرا عن تلك المجموعة أنها تقوم بواسطة عدد من النسـاء، وكذلك الرجـال المهتمين، بفحص القـرآن الكـريم؛ بحثًا عن احتمالات المسـاواة فيه، تأسيسًا على أن التعاليم الإسلامية تتعاطف مع المرأة إلى حدود أبعد بكثير مما يُعترف به بشكل عام.

وتضم المجموعة كذلك الحقوقية رشيدة آية حميش، وهي عضوة في حزب يسـاري علماني، وهي علمانية ومسلمة، وهـو أمـر لا يشـكّل تناقضًا بالنسـبة لآية حميـش، وتقول: إنها تسـتطيع تحقيق النواحي المختلفـة لهويتها في المجموعة. تستطيع أن تكون المرأة مسلمة، وأن تشـعر بالحرية في الوقت نفسه. تسـتطيع اعتناق القيم الإنسانية العالمية التي أنزلها الإسلام ورؤيتها كحالة من حالات إعادة قراءة القرآن الكريم».[٣]

ترى النسـوية الإسلامية أن الرسالة الروحية للإسـلام قد طُعنـت. فبـدلاً من المسـاواة التـي كان الديـن ينادي بها، حـوّل النظام الذكـوري، الأبـوي، هذه الرسـالة إلـى أداة لاضطهـاد النسـاء. وبينمـا دعـا الإسـلام إلى تحـرر النسـاء قامت «التقاليـد الأبوية التمييزية» بمصادرته.

ووفقًا لمنظور النسـوية الإسلامية؛ فإن المرأة تعاني من وضع قاتم في كل الدول الإسلامية والعربية، وإن هنـاك حاجة لمزيد من التقدير للمرأة في الإسـلام. وهذا يعني إعادة قراءة النصوص وتحديد تفسـيرات سـابقة على حقيقتها بعيدًا عـن الذكورية والمجتمع الأبوي.

وترى أمانـي صالح [٤] أن إنصـاف المرأة يتمحور حول تفكيك التاريخ البشري عن النصوص الإسلامية التأسيسة.[٥]

أما مُؤسِّسَات «المبادرة النسـائية الإسلامية للروحانية والمسـاواة» المعروفة اختصارًا بـ«وايـز» فقد دفعتهم تلك الفكرة إلى الدعوة لإنشـاء مجلس نسائي لتفسير القرآن

(١) أقامت مؤسسـة المرأة والذاكرة الورشـة بالتعاون مع مؤسسة هاينرخ بول Heinrich Böll Foundation الألمانية على مدى يومين بمشاركة ناشطات وباحثات من داخل وخارج مصر، في محاولة لتحديد خطاب= =ديني نسائي للراغبات في التعبير عن هوية دينية، والالتزام بمرجعية قيمية دينية، وبالتالي توحيد النساء العربيات (المسيحيات والمسلمات) في مواجهة إشـكاليات متشابهة. وقد أقيمت الورشة بفندق بيراميزا في القاهرة في ١٦ – ١٧ مايو ٢٠٠٥م.

وفي هذا السـياق تم تحديد أهداف مثـل صياغة منظور ديني ينأى عن التعصب ضد المرأة، وإنتاج خطاب تحرري يعتمد على المسـاواة، ورفع الوعي بقضايا الخطـاب الديني التي تخص المرأة، والنظر إلى الاستراتيجيات المسـتقبلية للتواصل مع المؤسسات الدينية الرسمية ورجال الدين، وإقناعهم بالمشـاكل التي تعانيهـا المرأة والتعامل معها بشكل عملي.

شـارك في الورشـة: عدد كبير من المثقفين منهم: أ. زينب عفيفي (مصر) رئيـس مجلس إدارة جمعية الخدمـات الاجتماعية العامة، د. ماري أسـعد (مصر) أسـتاذة الأنثروبولوجي بالجامعة الأمريكية سـابقًا، د. آمنة نصير (مصر) أسـتاذ العقيدة والفلسفة الإسلامية بجامعة الأزهر.

http://www.wmf.org.eg/ar/node/566

(٢) مارتينا سابرا مراسلة في موقع www.qantara.de. موقع قنطرة دي، هو مشروع يقوم على شراكة كل من المركز الاتحادي للتعليم السياسي، وإذاعة صوت ألمانيا، ومعهد غوتـه، ومعهد العلاقات الخارجية. كما تقوم وزارة الخارجية الألمانية الاتحادية بدعمه.

(3) http://ar.qantara.de/webcom/show_article.php/_c-471/_nr-622/i.html

(٤) دكتواره في العلوم السياسية، نائبة رئيس جمعية دراسات المرأة والحضارة.

(٥) أماني صالح، نحو منظور إسلامي للمعرفة النسوية، مصدر سابق.

الكريم، معتبرات أن هذا التفسير النسوي خطوة على طريق تحسين صورة الإسلام في الغرب! حيث يرين أن «أحكام الشريعة الصارمة ليست سماوية؛ لأن الرجال هم الذين صاغوها، وينبغي تغييرها لكي تشمل حقوق المرأة».[1]

وترى النسويات الإسلاميات أن الدين، أيّ دين، ليس كما هو شائع، مصدر اضطهاد للنساء، ودليلهن على ذلك استمرار اضطهاد المرأة الغربية. فمع أن المرأة الغربية تحللت من النظم الدينية المسيحية، مصدر الاضطهاد، أو أرادت لنفسها أن تتحرر ومع ذلك ما يزال هناك اضطهاد للنساء في الغرب، وإلى الآن لم تحل مسألة المساواة بين الجنسين. ولم تبلغ المرأة الغربية بعدُ تحررها النموذجي الذي انصبت عليه وانتظرته.

فالمشكلة تكمن في سيطرة السلطة الذكورية على فهم النصوص الدينية وتطبيقها في الواقع، واستمداد السلطة في السيطرة على المرأة وهضم حقوقها من الرؤية الذكورية للدين، وليس من الدين نفسه.

خاتمة:

هذا السرد التاريخي للمحتوى الفكري واستمداداته الفلسفية للحركات النسوية الغربية، يؤشر لعدد من النقاط المهمة:

أولاً: إن الفكرة المركزية التي انطلقت منها جميع المذاهب النسوية هي الحد من/ أو القضاء على السيطرة الذكورية بجميع تجلياتها، سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية.. وتم تفسير التاريخ البشري كله على أنه صراع بين الذكر والأنثى، أو بين العصر الأمومي والعصر الأبوي.

ثانيًا: الحركات النسوية بجميع أشكالها هي فرز طبيعي للفلسفات والرؤى الغربية والتي تتناقض بشكل شبه كامل مع الرؤية الإسلامية. فالنظرة الدونية للمرأة كانت هي المسيطرة على الغرب؛ نظرًا لتأثرها بالمسيحية واليهودية، فضلاً عن انسحاب تلك النظرة إلى الفلسفات القديمة والمعاصرة، وكان لاحتضان تلك الفلسفات الغربية للفكر النسوي مردوده السلبي؛ حيث لم تجد التربة الخصبة في المجتمعات الإسلامية.

ثالثًا: يمكن أن نعد الموجة النسوية الثانية، وتوابعها في العالم الإسلامي، من أهم وسائل الهجمة الاستعمارية الثانية، والتي عُرفت بالغزو الفكري الذي اجتاح العالم الإسلامي في أواخر القرن العشرين.

رابعًا: الملاحظة الجديرة هنا أيضًا: أن هناك تطابقًا شبه كامل مع قرارات المؤتمرات والاتفاقيات الدولية -مثل مؤتمرات بكين واتفاقية السيداو- مع الأطروحات النسوية، خاصة فيما يتعلق بحرية المرأة في جسدها، وشكل الأسرة التي لم تعد تتكون من رجل وامرأة فقط، وحرية الإجهاض، وبمراجعة بسيطة بين ما ذكرناه من أطروحات الحركات النسوية وقرارات المؤتمرات الدولية سنجد تطابقًا عجيبًا.

خامسًا: سعت النسوية الغربية للاندماج مع بعض التيارات الفكرية مثل: ما بعد الكولونيالية، والإيكيولوجيا، لكي تصبح في النهاية ذات دلالة تؤشر إلى تحرر المرأة من سلطة المجتمع الأبوي المستبد الظالم، الذي احتل جسدها وعقلها، وأصبحت تناضل من أجل الاستقلال عنه، هكذا تم التلاعب بالمصطلحات ومدلولاتها الفكرية، لتعطي في نهاية نتائج توافقية مع ما يريده الغرب من مضامين وثقافة يريد زرعها في عقولنا.

من هنا يحذر الأستاذ (محمد بن شاكر الشريف) في مقال له في مجلة البيان من خطر المصطلحات الوافدة يقول: «وعلى ذلك؛ فإن التحذير من ضرر استخدام المصطلحات الغريبة على شريعتنا وثقافتنا لا يمثل موقفًا انعزاليًا أو تقوقعًا وانكفاء على الذات، وبُعدًا عن التفاعل مع العالم من حولنا، وإنما يمثل

(١) خبر على العربية نت (مدافعات مسلمات عن حقوق المرأة يردن تشكيل مجلس لتفسير القرآن)
www.alarabiya.net/articles/2006/11/20/29233.html

موقفًـــا محافظًا على مقومات الأمة وخصائصها ألا تذوب في غيرهـــا؛ فإن تلك المصطلحات محمَّلة بدلالاتها الخاصة بها التي تكونت عبر أجيال عدة، وخبرات متطاولة في بيئة غير إســـلامية، وهي بالطبع بيئة مناقضة لبيئتنا.. وهي تمثل اعترافًا بعجز ثقافتنا أن يكون لديها المصطلحات الخاصة بها التي تدل على المضمون الذي نريده، ثم إن هذا التصرف سينتهي - ولا بد- إلى قبول المصطلح بكل شروحه وحواشيه...».[1]

وهذا ما حدث تمامًا مع مصطلح ما بعد الكولونيالية أو الإيكيولوجيا؛ فدلالتهما الأولية لا تشي بتأثيرات سلبية، إلا أن الشروح والحواشي قادتنا إلى النسوية، والحديث عن المفاهيم الغربية عن الحرية المزعومة للمرأة.

سادسًا: شكلت نسوية الحداثة الإسلامية رأس الحربة في الحرب الغربية على المفاهيم الإسلامية وهي تمثل تجليًا شديد الوضوح للهدف من تلك الحرب.

إذ نسعى نسوبة الحداثة الإسلامية في الأخير إلى التماهي مع مسلمات الحضارة الغربية من خلال ما يُدَّعَى أنه تفسير نسوي جديد للإسلام.

ســـابعًا: هناك تناقض أيديولوجي بين مطلق فكرة النسوية، والإســـلام، فمصطلح «النسوية» يحمل مضامين أيديولوجية مركزية، أبرزها المساواة التامة التي تقود إلى فضح التحيزات الذكورية الكامنة في الخطاب والوعي، ومن ثَم يفترض أن هناك صراعًا أو نزاعًا.

إن الإســـلام لا يعرف الصراع بين الرجل والمرأة، فالإســـلام كعقيدة وشريعة، لا يميّز نوعًا على نوع ولا عرقًا على عرق، ولا شعبًا على شعب، ففكرة قراءة الإسلام من وجهة نظر عرقية أو إثنية أو نوعية تتناقض مع نظرة الإســـلام الكلية. فالإسلام يعبّر عن رؤية شـــاملة لكل مجتمعات المسلمين عبر كل الأزمنة والأمكنة؛ رؤية تراعي الطبيعة التي فطر الله خلقه عليها، أيًا كان خلقه سبحانه من حيوانات أعاجم أو من البشر مع اختلاف أجناسهم وعرقياتهم وألوانهم، سواء كانوا رجالاً أم نساء.

(١) محمد بن شاكر الشريف، دعوة إلى تأصيل المصطلحات السياسية، مجلة البيان، السنة العشرون، العدد ٢١٣، جمادى الأولى ١٤٢٦هـ. يونيو/ يوليو ٢٠٠٥م، ص٢٢.

معلومات إضافية

مصطلحات نسوية:

فيما يلي بعض المصطلحات شـــائعة الاســـتخدام لدى الحركات النســـوية ومدلولات هذه المصطلحات وفقًا للتعريفات التي تقدمها وتعتنقها الحركات النسوية:

تحرير المرأة Women's Liberation:

استخدم هذا المصطلح على ما يبدو لأول مرة عام ١٩٦٩م على الرغم من أن هذه الفكرة كانت موجودة ضمنًا في ما قالته ماري أستيل من أن النساء مثلهن مثل العبيد. وبعدها تحدثت سوجورنر تروث عن عدم المساواة بين الرجل الأســـود والمرأة الســـوداء على الرغم من تحرير العبيد في عام ١٨٦٧م، وبعد مرور قرن من الزمان كانت المرأة الســـوداء والبيضاء لا تزال تعتبر تابعة في ســـياق الحركات السياسية الراديكالية المناهضة لحرب فيتنام والداعية لتحرير السود.

وأصبح من الواضح أن المرأة ســـتضطر لتحرير نفســـها، ففي عام ١٩٦٩م أعلنت مجموعة من الراديكاليات النسويات في نيويورك المواجهة المستمرة مع الرجال لإدراكهن أن «تحرير المرأة» لن يلقى الترحاب بدون نضال. وفي نفس العام أعدت جماعة «الجوارب الحمراء» بنيويورك أول مانيفســـتو لتحرير المرأة، وتم إنشـــاء منظمة تحرير المرأة في بريستول بالمملكة المتحدة.

وقبل هذا التاريخ بثلاثة أعوام كانت جولييت ميتشيل قد كتبت عن الحاجة إلى التحرر، وسار على نهجها عدد من الشخصيات ذات الأصوات المؤثرة مثل شيلا روبوثام.

وفي عام ١٩٧٠م انعقد أول مؤتمر وطني حول تحرير المرأة في كلية راســـكن بأكســـفورد. وبعد ذلك اختصر المصطلح إلى الصيغة Women's Lib في وســـائل الإعلام التي يهيمن عليها الرجل بقصد السخرية والتهوين من شأن الحركة. ومازالت الصيغة المختصرة تستعمل حتى اليوم في سياق الاستهانة بالحركة.

الأسرة Family:

تمثل الأســـرة محور البحث والمناظرات الحامية في الحركات النسوية واحدة بعد أخرى، وتوصف بأنها موطن قمـــع المرأة وموضع الحياة الشـــخصية ذات القيمة، كما أنها مصدر ســـلطة الرجـــل وأداة إدخال الأطفال في العلاقات الاجتماعية.

وتعتبر الأســـرة في المجتمعات التي تجاوزت مرحلة الصناعية هي الوحدة الأساسية للمجتمع، ولكن محاولات الدفاع عن الأسرة النووية (أي الأب والأم المتزوجين اللذين يعيشان معًا ومع أطفالهما) باعتبارها بنية «طبيعية» وحتمة موجودة منذ بدء الخليقة تتعرض للتحدي بدعوى أنها زائفة.

والأســـرة عند اشتراكيي القرن التاسع عشـــر اليوتوبيين (المثاليين) مثل أوين وفورييه وسان ـ سيمون (وكلهم رجـــال) هي معقل الفرديـــة الأنانية التي لا تتوافق مع أســـلوب الحياة التعاوني، لكن هـــذه النظرية لم تقترن بممارسات موازية لها في المجتمعات الاشتراكية التي قامت في الولايات المتحدة وفرنسا وإنجلترا.

وثنية Paganism:

تروق الوثنية بصورة واضحة للحركة النسـوية التي تعتقد في جوهرية الاختلاف بين الرجل والمرأة، والنسوية المهتمة بالبيئة؛ لأنها في هذه السياقات تمثل العودة إلى الاتحاد بالأرض الأم أو مبدأ الإلهة (Goddess) (تهدف ثقافة الربات أو الآلهة المؤنثة عند النسـوية إلى الاحتفاء بالقدرات الكامنة في نفس المرأة منذ قديم، وإبرازها في مقابل السلطان والقانون المتمركز حول الذكور)، والعودة إلى القيم الأمومية مثل احترام العالم الطبيعي والقيم «الأنثوية» مثل نزعة المسالمة ورعاية الصغار.

ومن الشخصيات البارزة في هذا المزيج من الوثنية والنسوية والاهتمامات البيئية الكاتبة الأمريكية ستارهوك التـي تدعو إلـى ديانة تتركز حول عبادة إلهة مؤنثة، وتجعل المقدس هو النفس والعالم الطبيعي، وذلك في عدد من مؤلفاتها، مثل «الرقصة الحلزونية: الميلاد الجديد لدين الإلهة الكبرى القديم» (١٩٧٩م).

النظام الأمومي (النظام القائم على سلطة الأم) Matriarchy:

المجتمع الأموي هو المجتمع الذي تسوسـه المرأة وينتقل نسـبه من الأمهات إلى الجـدات، لا من الآباء إلى الأجداد، وهناك عدد من عالمات الأنثروبولوجيا النسويات مثل هيلين داينر وإليزابيث جولد ديفيز وإيفيلين ريد يفترضن أن هناك عشائر أمومية كانت موجودة قبل نشأة النظام الأبوي.

ولا ترجـع أهمية هذه البنيـة الاجتماعية عند من يقولون بالنظم الأمومية إلى أنها دفاع عن سـلطان المرأة وحسـب، ولكن إلى أنها تخلق أيضًا إطارًا اجتماعيًّا قائمًا على الفضائل «النسائية» مثل رعاية الصغار والتعاون السلمي واحترام البيئة.

فتقول مارلين فرينش مثلاً في كتابها «الحرب ضد المرأة» (١٩٩٢م): إن التجمعات السـكنية البشـرية الأولى كانت «مجتمعات تعبد آلهة مؤنثة، وتعيش في تناغم قائم على التساوي وتنعم بالرخاء المادي»؛ حيث كانت المرأة تتمتع بمكانة أعلى من مكانة الرجل وباحترام أكثر منه، ثم جاء «النظام الأبوي» ليحل محل هذه المجتمعات وعلى رأسه «الملوك الكهنة» الذين خلقوا نظامًا طبقيًا يُخضع المرأة.

النظام الأبوي Patriarchy:

نظام يسوده الرجل وتفرض فيه السلطة من خلال المؤسسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية.

ويلاحظ ان كل النسـويات يعارضن النظام الأبوي وإن اختلفن في تصوراتهن له، فالتيار النسـوي الراديكالي يميل إلى اعتبار النظام الأبوي نظامًا متغلغلاً في كل شيء ولا علاقة له بالتاريخ، وهو الموقف الذي يتلخص في مقدمة مارلين فرينش لكتابها «الحرب ضد المرأة» (١٩٩٢م) الذي تستجلي فيه أول النظام الأبوي التي ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ، وترى أن النظام الأبوي يتميز في جوهره بالعدوانية وبالبنية الهرمية وبالوجود المسـتقل عن التغيرات الاجتماعية، فتقول مثلاً: إن التحول من الإقطاع إلى الرأسمالية لم يُحدث اختلافًا يذكر في وضع المرأة الخاضع للرجل.

لكن هذه النظرة تتعرض للانتقاد من جانب التيار النسوي الماركسي والاشتراكي كما في كتابات كريستين دلفي وهايدي هارتمان اللتين تحاولان تحديد وضع النظام الأبوي في إطار العلاقات المادية.

فترى دلفي أن النظام الأبوي موجود جنبًا إلى جنب مع الرأسمالية، وأنه ينبع من استغلال الرجل لدور المرأة في القيام بأعمال المنزل.

كما تعتبر هارتمان أيضًا أن النظام الأبوي ينبع على وجه التحديد من سيطرة الرجل على عمل المرأة.

وتستعين منظرات النسوية المنتميات لتيار ما بعد الحداثة بمفاهيم التحليل النفسي والتفكيك وما بعد البنيوية لإظهار أن النظام الأبوي أيديولوجية تتخلل كل جوانب الثقافة.

النظام الأبوي الرأسمالي Capital Patriarchy:

يدور الجدل منذ وقت طويل بين النسوية الراديكالية والنسوية الماركسية حول ما إذا كان النظام الأبوي أو الرأسمالي هو السبب في قمع المرأة. فيذهب تيار النسوية الراديكالية إلى القول بأن الأيديولوجية الأبوية موجودة بصورة منفصلة عن الهياكل الرأسمالية، وبأن تقويض أركان هذه الهياكل لن يؤثر إلا تأثيرًا محدودًا على الأيديولوجية الأبوية.

أما تيار النسوية الماركسية فيؤكد أن قمع المرأة له جذور ضاربة في النظام الطبقي، وأن المساواة الحقيقية لا يمكن تحقيقها في ظل النظام الرأسمالي، وهو الرأي الذي تلخصه ميشيل بارت في كتابها «قمع المرأة اليوم: بعض المشاكل في التحليل النسوي الماركسي» (١٩٨٠م) بقولها: «إن قمع المرأة مترسخ في البنية الرأسمالية».

ومن الأعلام في مجال تحليل العلاقة بين النظام الأبوي والرأسمالية الماركسية هايدي هارتمان النسوية الأمريكية، التي نشرت مقالاً بالغ التأثير بعنوان «الزواج التعس بين الماركسية والنسوية: نحو وحدة أكثر تقدمية» في عام ١٩٧٩، ذهبت فيه إلى القول بأن النظام الأبوي يقوم أساسًا على سيطرة الرجل على قدرة المرأة على العمل، وتتأكد هذه السيطرة من خلال مجموعة من المؤسسات المختلفة مثل الميل للجنس الآخر، والزواج بزوج واحد، والحمل وتربية الأطفال، والأعباء المنزلية، وتدعو هارتمان إلى استراتيجية للمقاومة ذات طابع اشتراكي ونسوي «تنظم طبيعة الجهود التي تناضل ضد النظام الأبوي، وضد الرأسمالية في آن واحد».

المصدر:

سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية (دراسات ومعجم نقدي)، ترجمة أحمد الشامي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م